

## المنظمات العالمية والحفاظ على الوسط.

## Global Organization and the preservation of the environment

د. عبد الوهاب بن البشير خطاط\*

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة تونس بتونس

|                         |                          |                           |
|-------------------------|--------------------------|---------------------------|
| تاريخ النشر: 2020/12/31 | تاريخ القبول: 2020/11/16 | تاريخ الإرسال: 2020/10/22 |
|-------------------------|--------------------------|---------------------------|

**ملخص:** أقرت المؤتمرات العالمية والمتعلقة "بالوسط" والمحافظة عليه جملة من المبادئ والتوصيات، ولكن بالإمكان أن تكون عاجزة عن تحقيق الأهداف التي صيغت من أجلها، ورأس المسألة يعود إلى غياب الوعي بأهمية "الوسط" وضرورة المحافظة عليه لدى مجمل الشعوب. وبالتالي تتأكد ضرورة التوعية بالقوانين أو المبادئ المتعلقة بـ "الوسط". مما يستوجب إرساء تربية موجهة للحفاظ على "الوسط". تهدف هذه التربية إلى إعداد الأفراد والمجموعات للتفاعل مع "الوسط" بطريقة تضمن سلامته، وبالتالي سلامة الإنسان بصفة عامة، بمعنى وعي كل أفراد المجتمع بضرورة مشاركتهم بصورة فردية أو جماعية في صيانة "الوسط". وإكسابهم مهارات في التعامل مع "الوسط".

**الكلمات المفتاحية:** وسط طبيعي، وسط صناعي...

**Abstract:**

International conferences related to the environment and its preservation have approved a set of principles and recommendations, but it is possible that they are unable to achieve the goals for which they were formulated, and the top of this issue is due to the absence of the importance of awareness of the importance of the environment and need to preserve for all peoples, and thus the necessity of raising awareness about the principles related to the environment, which requires the establishment of a targeted education aims not only to prepare individuals and groups to interact with it in a way that guarantees its safety and therefore the safety of the human being in general, in the sense that all members of the society are aware of the need to participate individually or socially in the shaping of the environment and the importance to impart them with the necessary skills in dealing with it.

**Keywords:** Natural environment, Industrial environment...

\*Corresponding author, e-mail: [abdelwahebkattat@yahoo.fr](mailto:abdelwahebkattat@yahoo.fr).

## 1- مقدمة

إن تدخل الإنسان في الطبيعة قائم على تكديس الثروات الطبيعية. وهذه التدخل قائم أساساً على التطور التقني الذي بُنيت عليه التحولات الثورية التي بُنيت عليها "الحداثة"، وتطبيقاتها التكنولوجية في علاقة الإنسان بالطبيعة بصفة عامة و"الوسط" بصفة خاصة. وقد سعى الإنسان للسيطرة على أهم مواقع المواد الأولية في العالم وخاصة منها الطاقة والمواقع الخصبة من الأراضي لتستغل مواردها وتجفف منابعها مما يؤدي إلى الإضرار بـ "الوسط"، وإنهاك الطبيعة، مُخلفاً وراءه (أي الإنسان) الدمار والهدم غير عابئاً بذلك. لقد أنهك الطبيعة باستعمال تقنية متطورة ومع ذلك ليست بنظيفة بمعنى تطور العلم والتقنية قد حقق شيئاً ما للإنسان ونقصد نوعاً من الرفاهية لكنه من جهة أخرى أصبح يُهدد وجوده من ناحية محيطية. بمعنى كارثة "الوسط" أو البيئة ارتبطت بوضوح بالثورة التكنولوجية.

أصبح "الوسط" يستغل بلا توقف وبالتالي ضرورة إيقاف هذا الاستغلال المجحف للحفاظ على التوازنات البيئية. ولا ننسى أن الحفاظ على "الوسط" هو حفاظ على وجود الإنسان وحمايته من الأخطار التي تتهدده وتحدق بوجوده.

هذا السلوك أو الفعل الإنساني الذي يُهدد "الوسط" بالسَّير به نحو الهاوية والذي بُني بالأساس على العلم والتقنية، قد استوجب ولادة أعمال لمنظمات عالمية لحماية "الوسط"، مشروع ينظر في مخلفات "التقنية" وتأثيرها على الوسط الطبيعي، وإنقاذ ما يمكن إنقاذه وعلى وجه الدقة ينظر في المخلفات الكارثية المرتبطة بالحقاق الإضرار بـ "الوسط" أو بالطبيعة، وذلك قصد التصدي للكوارث المُحدقة بـ "الوسط"، وسنّ قوانين وعقد مؤتمرات واتفاقيات ورسم نماذج اقتصادية تتماشى ومكونات "الوسط" والطبيعة بصفة عامة... وبالتالي تحول العلاقة بين الإنسان والطبيعة من علاقة "سيد" عليها إلى "محافظ عليها". ذلك ما يجعل من الطبيعة بصفة عامة و"الوسط" بصفة خاصة هدفاً وجب المحافظة عليه عوضاً أن يكون هدفاً اقتصادياً أي استغلالاً واستهلاكاً...

## 2. الوسط الطبيعي والوسط الصناعي

## 1.2- الوسط الطبيعي:

كان الحديث عن "وسط طبيعي" "Milieu naturel" وعن "وسط صناعي" "جورج فريدمان" Georges Friedmann، وبحيل مفهوم "الوسط الطبيعي" لدى "فريدمان" عن المكونات التي لم يتم تحويلها على يد الإنسان أو لم يتم التدخل في صناعتها من قبل الإنسان. مكونات لم يتم تغييرها وبقيت على ما هي عليه ويقصد الكائنات الحية والجبال والماء والرياح والشمس والغابات والشواطئ... وقد لخصها (Jean Bilinski, 1967) عندما قال "يتضح لنا من خلال دراسة الوسط الطبيعي الذي يمثل الدرس الأول من الكتاب (ويقصد الدراسات السبع حول الإنسان والتقنية) أنه يتكون من مجموع عناصر خاصة بالحياة في الحضارة الما قبل تقنية يستعمل فيها المجتمع أو الإنسان العناصر الطبيعية منها الماء والرياح والنار،...". (p. p. 204- 206) قد لخص "جون بلانسكي" العناصر الطبيعية في ثلاثة عناصر أساسية هي الريح والماء والنار فقط أي لخص "الوسط الطبيعي" في الجوامد ونسي

الكائنات الحية التي أكد عليها (Friedmann, Georges, 1967) : من النباتات والحيوانات والإنسان كمكون أساسي "الوسط الطبيعي" إذ يقول: "يتأثر الإنسان في "الوسط الطبيعي" بجملة عناصر طبيعية منها الأرض والماء والنبات والكائنات الحية، الحيوانات والإنسان.. (p. 132). وبالتالي ف"الوسط الطبيعي" لدى "فريدمان" يلم بكل الحثيات الخارجية للحياة.

ويكون التعامل مع "الوسط الطبيعي" بالنسبة إلى الإنسان مباشرة أي دون واسطة بينه وبين مكونات هذا "الوسط"، ذلك ما يؤكد (Friedmann, Georges, 1967) عندما يقول "لا يوجد شيء بين الإنسان والعناصر: فهو يباشرها دون واسطة بينه وبينها، سواء المكونات الجامدة أو الكائنات الحية، حيوانات ونباتات ورياح...". (p.14). فهو "الوسط" الذي لم يتم التدخل فيه بواسطة "التكنولوجيا" أو "التقنية".

ويتعامل فيه الإنسان مع عناصر طبيعية لا غير أو لنقل "يتأثر الإنسان في هذا "الوسط الطبيعي" بجملة عناصر طبيعية منها الأرض، الماء، النباتات، الكائنات الحية، الحيوانات، الإنسان... (Friedmann, Georges, 1967, p. 96). فحسب هذا التعريف الذي أصبح متعارفاً عليه حتى يومنا هذا حيث نعثر عليه في جل المؤلفات التي اهتم أصحابها بهذه المسألة فإلى جانب المكونات الجامدة يتكون "الوسط الطبيعي" "من الحيوانات والإنسان". وذلك حسب (Nathalie Blanc and Barbara L. Benish, 2017, p. 69)، وبناء على ذلك، لم يخرج "فريدمان" عن سبقه في ضبطه لمكونات "الوسط" الذي يعيش فيه الكائن الحي بما هو جملة من المكونات الخارجية الجامدة والحية، وإنما اختلف عنهم في التسمية أي أنه أطلق على مفهوم "الوسط" مفهوم "الوسط الطبيعي".

يؤثر الإنسان في "الوسط الطبيعي"، ويكمن هذا التأثير في مباشرته لمكونات هذا "الوسط": أي يتعامل مع هذه المكونات دون واسطة. ومهما وجدت في السابق آلات فهي لم تمنع الإنسان من الاقتراب من "الوسط الطبيعي" ومباشرته باعتبار أن هذه الآلات كانت بسيطة وغير معقدة، وهي لا تطلب طاقة خارجة عن الإنسان حتى يزودها بها ويتركها تباشر الأشياء لوحدها. وحضور الإنسان في "الوسط الطبيعي" يقرأ من جانبين هما الجانب البنائي والجانب الهدمي أي سواء عند بناء شيء ما أو هدمه فهو يباشر الأشياء دون واسطة تقنية تبعده عن هذا العالم. وبلغة أخرى فهو يشترك مع الأشياء والكائنات الحية وعلى رأسها الإنسان أي أنه يعيش كل لحظة يقترب فيها من مكونات "الوسط الطبيعي" بما فيه المكونات الجامدة والحية. ومتلما يؤثر الإنسان على "الوسط الطبيعي" فأن "الوسط الطبيعي" يؤثر بدوره على الإنسان ويتضح ذلك من خلال دوره في صناعة الحضارة.

وما يميز "الوسط الطبيعي" من قساوة الطقس ووعورة الجبال وخطورة الأدغال وغياب المعالم في الصحاري الممتدة (وكان العرب القدامى يسمونه مفاظات من يخرج من هذه الصحاري وكأنه فاز بالحياة من جديد...) تزرع

هذه العوامل القاسية في الأفراد تعلقا بهذا المكان، والشجاعة... على خلاف "الوسط الطبيعي" الذي يتميز بانتشار السهول والذي لا يبعث في أنفُس سكانه التعلق الذي تزرعه "الأوساط" الوعرة.

ولعلنا لا نخطئ عندما نقول أن هذا النفس وجد في فلسفة "الفارابي" إذ أن المساكن المرتبط تواجدها بالصحراء تولد لدى أهلها الشجاعة والتيقظ والحزم على خلاف المساكن المنيعة والتي يبدو ارتباطها بالمدن والقرى فهي لا تصنع لدى سكانها الشجاعة... بل الخوف والتردد إلخ... وليست هذه الشيم الأخلاقية مرتبطة "بالوسط الطبيعي" فحسب بل "بالوسط الاجتماعي" بما يمثله من جماعات وأفراد يحتك بها الفرد في حياته ذلك ما عرج عليه "بارتيلون" معتبرا أن الفرد يتأثر في سلوكه "بوسطه الاجتماعي" والدليل على ذلك اختلاف القواعد الأخلاقية بين الأفراد حسب مجتمعاتهم. بل الأمر نفسه لدى الحيوان فسلوك الحيوان الذي يعيش منفردا يختلف عن سلوك ذلك الذي يعيش في مجموعة حيوانية.

ويؤكد "بارتيلون" أن الحضارات الإنسانية نشأت في "الأوساط الطبيعية" الخصبة والملائمة وليس في "الأوساط الطبيعية" الجافة والحارة التي يصعب فيها الإنتاج والعيش. وكلما كان "الوسط الطبيعي" ملائما كلما زاد الإنتاج وزاد التكاثر وارتفع الاستهلاك. بمعنى الزيادة في العمل لزيادة الإنتاج وتغطية الاستهلاك. وبناء على ذلك تخلق المنافسة بين الأفراد للاستحواذ على "الأوساط الطبيعية" الخصبة بل بين المجتمعات، ويكلف العبيد بمهمة الإنتاج في حين أن السيد يقضي أوقات فراغه في التحضير للغزوات والاشتغال بالإنتاج الفني والكتابي... وتبنى حينها المعابد والقصور والأضرحة وتصاغ الدساتير والقوانين، ولأول مرة تجنى الثمار وتدجن الحيوانات... وتصنع الآلات الفلاحية. وعلى ما يبدو فإن العبيد هم الأناس الأساسيين والأوليين الذين بنوا الحضارة. فهم الذين سمحوا للأقوياء والأذكياء... بأن يفرغوا للكتابة والمعرفة والتنظيم والفن والدين... والعبيد ليس لهم الحق إلا في الإنتاج والأكل. بهذه الطريقة نشأت الحضارات وتطورت.

وباختراع أول الآلات الفلاحية بدأ الإنسان في الاستقلال عن "الأوساط الطبيعية" الخصبة ليستغل "الأوساط الطبيعية" الأقل خصوبة إذ يمكنه أن ينتج ما يستحقه بواسطة الآلات. ولا يقتصر دور "الوسط" في نشأة الحضارة فحسب، بل يعد له دور أساسي في نشأة الدين. ذلك ما أكدته "بارتيلون" الذي أرجع نشأة الدين إلى "الوسط الطبيعي" الذي يتميز بالعنف كالأعاصير والجبال الوعرة والغابات السميكة والممتدة... فيكون الخيال الملجأ الوحيد الذي يؤدي بالإنسان إلى اختراع الآلهة لتجاوز الرعب الذي يعيشه الإنسان والذي يسببه "الوسط الطبيعي" الذي يتميز بالعنف. ولعل "فريدمان" قد أصاب في ذلك فالأديان الإنسانية الكبرى نشأت في عالم الصحراء في الجزيرة العربية وبلاد ما بين النهرين أو على قمم جبال آسيا في الهند والصين ومن هنالك انتقلت إلى بقية أصقاع الأرض.

ومجمل القول فإن مفهوم "الوسط" مع "فريدمان" قد أخذ تقريبا معناه الشامل باعتباره ألم بكل ما يحيط بالظاهرة الحياتية ويبدو أنه أصبح متفق عليه لدى الجميع. وإذا كان "فريدمان" قد اتبع السابقين عليه في تعريف

"الوسط" الذي يعيش فيه الكائن الحي فإنه ابتدع ما يسمى "بالوسط الصناعي". وما قدمناه من عرض أفكاره المتعلقة بـ"الوسط" الطبيعي ليس إلا إعدادا لطرح مشكلة "الوسط الصناعي".

## 2.2- الوسط الصناعي:

يتعلق "الوسط الصناعي بكل ما هو صناعي أي مجمل المكونات الصناعية داخل المجتمعات أو التجمعات البشرية ويطلق "جورج فريدمان" على هذا "الوسط الصناعي" "الوسط الجديد" "Le Nouveau Milieu" ويقصد به التقنيات الجديدة، وقد عبر عن ذلك (Friedmann, Georges, 1967) بقوله "إن مجمل التقنيات التي نعتمدها يوميا وبشكل ملحوظ، والتي لها إمكانات متطورة في تشكيل شروط الوجود الإنساني سواء في ما تعلق بالماضي أو الحاضر، وتدخل في كل جزئيات الحياة اليومية للبشر: هي أكبر الظواهر التي لا نقف أن نتقطع عن السعي وراء الربح وخلق أكثر ما يمكن من المسالك المريحة في الحياة، في الأماكن العامة في الطريق في أوقات الفراغ... ذلك ما يجعل الإنسان يخضع يوميا إلى عديد الإغراءات والمثيرات والمحرضات منذ أمد طويل. تلك التقنيات التي تخلق كل يوم وتعمق بإلحاح حاجة الإنسان إليها ذلك ما يسمى عموما بالوسط التقني أو الوسط الصناعي". (p. 12)

أطلق "فريدمان" على "الوسط التقني أو الوسط الصناعي" "الوسط الجديد"، "وسط جديد" نسبة إلى الكائنات الحية ومن بين هذه الكائنات الإنسان لأن الإنسان كان يعيش في "وسط طبيعي" إن صح التعبير "وسط" ليس بجديد عن الإنسان، وعلى خلاف "الوسط الطبيعي" فإن "الوسط التقني" أو "الوسط الجديد" هو "وسط" مليء بالآلات والتكنولوجيات التي حرمت الإنسان من مباشرة "الوسط الطبيعي" وحجبت حضوره في هذا "الوسط" بمعنى أن الآلة أصبحت شيئا فشيئا تقف حاجزا بين الإنسان و"الوسط الطبيعي" ويقول (Friedmann, Georges, 1967) "وبالآلات التي صنعها الإنسان واكتفى بأن يزودها بالطاقة لتباشر المكونات الطبيعية عوضا عنه وتعدد هذه التقنيات صارت فرص مباشرة "الوسط الطبيعي" نادرا ما تكون وكذلك حضور الإنسان قل وندر (p.36). فالإنسان أصبح في "الوسط الصناعي" يعيش عزلة عن المكونات الطبيعية التي تحيط به جراء تغييره "الوسط الطبيعي" ويعبر عن ذلك (Friedmann, Georges, 1967) "باختراعاته لآلات وتقنيات جديدة" ويتغيره لهذا "الوسط" أصبح قبله هو نفسه للتغير بناء على ما أحدثه في وسطه" (p. 35). أي أن الإنسان بتشكيله لعالمه الجديد شكل في الآن نفسه طريقة تعامله مع المكونات المحيطة به وهذا التشكيل الجديد صاحبه نظرة مغايرة "للوسط" الذي يعيش فيه الإنسان ذلك ما يؤكد (Friedmann, Georges, 1967) عندما يقول: "فالأشياء التي تحيط به لم تعد كما كان يباشرها فالتقنية أصبحت تقف بينه وبين هذه الأشياء وبينه وبين الإنسان الآخر" (p. 35). وبلغه أخرى فالشيء الذي نباشره ليس كما نراه في التلفاز أو الذي نراه ونحن على أقدامنا ليس مثله كما نراه ونحن مارين في السيارة وليس كما نلتقي إنسانا مباشرة كما نهاتفه.

أصبح الإنسان يتعامل مع ما يحيط به عن بعد وانزاحت العلاقة الروحية بين الإنسان و"الوسط الطبيعي". وهذه المتغيرات التي أحدثها الإنسان أصبحت تمارس عليه ضغطا نفسيا فهي تتحكم في أفعاله وفي لباسه وتتحكم في وقته وقد عبر عن ذلك (Friedmann, Georges, 1967) بالقول: "في الوسط الجديد يتغير كل شيء ليس ما نأكله فحسب ولكن طريقة الأكل والراحة والترويق أو عدم الترويق، الجوع، الكمية اللازمة للأكل ومختلف المتطلبات" (p. 47). أصبح الإنسان في "الوسط التقني" محكوما عليه بالخنوع لما أحدثه بنفسه من صناعات وتقنيات. وأصبح مرغما على الخضوع إلى ما تحدثه هذه التقنيات من تشكيل لإدراكه الحسي والفكري للأشياء التي تحيط به أي للعالم بأسره.

إضافة إلى ذلك ميّز "جورج فريدمان" بين "وسط صناعي" و"وسط طبيعي" و"وسط طبيعي" قبل الثورة الصناعية وبعد الثورة الصناعية. في حين أن مع سابقه نتحدث عن "الوسط" الذي يشمل مجمل المكونات الجامدة والمتحركة (الحية) وهو يشتمل على كل ما هو طبيعي ولم نتحدث فيه عما هو صناعي. وأن هذا الاستعمال المتعلق "بالوسط الصناعي" يرتبط بالثورة التكنولوجية التي عرفتها الإنسانية. أصبح "الوسط الصناعي" يمثل وجها جديدا للعالم، وجه جديد يكسوه التصنيع وفائض الإنتاج والربح بسبب توسع الأدوات والتقنيات وتنامي سلطة الإنسان ورغباته... أدى ذلك دون شك إلى السيطرة على الطبيعة إلى حد ما والتمتع بمواردها وتحقيق الرفاه. لم يخطر على بال الإنسان أن التقنية التي اعتمد عليها في تحقيق السيطرة على الطبيعة قد تعود عليه بالدمار والويل والثبور. وعوضا أن ترفع عنه الحرج والخوف من الطبيعة والمخاطر التي تهدده فإنها ولدت لديه خوفا أكبر. خوف تراكم وتحول معه العقل البشري أداة للسيطرة على الطبيعة عن طريق ما أنتجه من وسائل تقنية.

أضرت التقنيات التي أنتجها الإنسان بالوسط الطبيعي وبإنسان وهو ما هيأ الأرضية الخصبة لولادة الشعور بالخوف من تدهور الوسط الطبيعي وفنائه وبالتالي هلاك الإنسان. فكان الرد من قبل العديد من المنظمات العالمية وعلى رأسها منظمة الأمم المتحدة التي سعت إلى الوقوف أمام التدهور الذي يلحق "الوسط الطبيعي".

### 3. دور المنظمات العالمية في الحفاظ على الوسط

#### 3.1. القوانين والتوصيات

جعلت الأخطار التي تهدد "الوسط" وعلى رأسها التلوث عديد المنظمات الدولية تلتفت إلى هذا الموضوع. وذلك راجع إلى أن مجمل المنظمات والمجتمعات والدول أدركت الخطورة التي تهدد الطبيعة بصفة عامة أي تهدد وجود الإنسان.

فكان تحرك المنظمات العالمية غير الحكومية.

ويتمثل هذا التحرك في عقد مؤتمرات دولية أو عالمية، الغاية منها التصدي للأضرار التي تحدث "بالوسط" وبإنسانية بصفة عامة. وتجلت باكورة تحرك هذه المنظمات (منظمة الأمم المتحدة...) في ولادة جملة من

المؤتمرات كمؤتمر "ستوكهولم" سنة 1972، ومؤتمر "تبيلسي" سنة 1977 ومؤتمر "ريودي جينيرو" سنة 1992...

ولقد كانت الغايات من وراء عقد هذه المؤتمرات هو إشعار المجتمعات والدول... بأن الفعل الإنساني التكنولوجي أصبح يهدد "الوسط" الإنساني، وذلك بأن نتجت عنه أضرار جسيمة تصدم الحياة الإنسانية بصفة عامة كالتلوث والانحباس الحراري وكثرة الأمراض الناتجة عن التلوث. حث الدول والمجتمعات على القيام بما ينبغي القيام به من أجل "الوسط" وبالتالي حماية الإنسانية بصفة عامة.

وبناء عليه فقد نصت هذه المؤتمرات على جملة من التوصيات أو البنود التي تنصّ على أن "الوسط" يواجه جملة من المخاطر والكوارث وهي ناتجة عن تكاثر النفايات الضارة والمواد السامة التي تلقى جزافا في "الوسط". مما جعل التصدي لهذه الأخطار من قبل الشعوب أو المجتمعات أمرا يستحق الرعاية والتشجيع وهو ما نعثر عليه في البند السادس من مؤتمر ستوكهولم الذي دوناه (Caroline Dommen et Philippe Cullet, 1998): "إن المحيط يواجه جملة من المخاطر الناتجة عن إلقاء المواد السامة والإفرازات الحرارية بإمكانيات عالية ومما جعل المحيط غير قادر على استيعاب مفعولها. ذلك ما جعل من تصدي المجتمعات أو الشعوب للتلوث الذي يتعرض له المحيط عملا وجب تشجيعه" (p. 15, principe 6).

ما يمكن أن نصل إليه هو أن الدول والمنظمات العالمية غير الحكومية أصبحت مدركة للأخطار التي بإمكانها أن تعصف بـ"الوسط" وبضرورة تحرك الأفراد والمجتمعات للتصدي للكوارث التي يمكن أن تلحق "الوسط".

وأن يكون تدبير "الوسط" نابعا من رغبة الجميع أمام التدهور الذي فرضه الفعل التكنولوجي للإنسان. تحول الإنسان عدوا لـ"وسطه" ولنفسه بسبب فعله التكنولوجي الذي أمعن في إهلاك "الوسط". إن النفايات السامة والمواد التي تهدد "الوسط" ناتجة على الفعل التكنولوجي للإنسان الموجه للإنتاج أي إنتاج ما يستحقه الإنسان للبقاء على قيد الحياة. ولكن لا يعني التصدي لتلوث "الوسط" التضحية بالفعل التكنولوجي للإنسان. بل أن الأمر على خلاف ذلك، بمعنى مواصلة الإنتاج أي إنتاج ما يحتاجه الإنسان لكن بطريقة تكون فيها الحياة السوية حقا مكفولا والإنتاج يتماشى والطبيعة أو هو منسجم مع الطبيعة" (Caroline Dommen et Philippe Cullet, 1998, p. 14, principe, 1).

بمعنى أن لا يخرج هذا الفعل التكنولوجي من عتبة المحافظة على "الوسط" ومكوناته. وبالتالي ضرورة ربط الإنتاج أي الفعل التكنولوجي للإنسان الموجه لإنتاج حاجياته بـ"الوسط" أي لا ينظر إليه بطريقة معزولة عن "الوسط"، ولا ينظر "للوسط" بطريقة معزولة عن الفعل التكنولوجي للإنسان. وبالتالي على الدول أن تتخلى عن طرق الإنتاج وطرق الاستهلاك التي لا تتسجم مع "الوسط" والارتقاء إلى السياسات التي تجعل من عمليات الإنتاج متناغمة مع "الوسط" أي لا تحدث أضرارا "بالوسط"، وتستجيب في الآن نفسه للحاجيات الاستهلاكية

للإنسان، أو لنقل إن الفعل التكنولوجي يصبح مناسباً "لوسط". وإذا كانت هذه المؤتمرات العالمية قد تبنت جملة من التوصيات والمبادئ التي تحت الدول والشعوب على ضرورة المحافظة على "الوسط" وحمايته في زمن "السلم". فهي لم تغفل على حث الدول والشعوب على ضرورة الالتزام بالمحافظة على "الوسط" حتى في زمن الحروب "تحدث الحرب أثاراً هدامة على التنمية المستدامة وبناء على ذلك وجب على الدول أن تحترم القانون العالمي المتعلق بحماية المحيط في حالة الحرب" (Caroline Dommen et Philippe Cullet, 1998, p. 14, principe, 24). ومن هنا يتوضح مدى أهمية المحافظة على "الوسط" سواء في حالة السلم أو الحرب وهو ما يعكس مدى ارتباط الحياة الإنسانية بـ "الوسط": أي كلما كان "الوسط" مهدداً كلما كانت حياة الإنسان مهددة بدورها وبالتالي وجب توخي الحذر حتى في الحالات القصوى أو الحالات غير العادية بمعنى في حالة الحرب لتجنب الإضرار بـ "الوسط"، وتحمل المسؤولية في الحفاظ عليه في كل الحالات التي يكون عليها وضع الدول والشعوب... ومجمل القول فإن عقد المؤتمرات المتعلقة بـ "الوسط" ليست إلا تعبيراً عن وعي المجتمعات والشعوب والدول والمنظمات... بمدى خطورة الكارثة التي تحدث بالإنسانية جمعاء. وهي تكشف عن ضرورة تضافر جهود الشعوب والمجتمعات والدول في الحفاظ على "الوسط" وحمايته من التلوث والكوارث بصفة عامة.

إلا أن المشكل الذي يتبادر إلى أذهاننا هو هل أن المنظمات غير الحكومية المدعومة من الدول أو غير المدعومة قادرة على تلافي المخاطر التي تحدث بـ "الوسط" أي بالإنسانية جمعاء؟

إن المبادئ والتوصيات التي أقرتها المؤتمرات العالمية والمتعلقة بـ "الوسط" والمحافظة عليه بالإمكان أن تكون عاجزة عن تحقيق الأهداف التي صيغت من أجلها، ورأس المسألة يعود إلى غياب الوعي بأهمية "الوسط" وضرورة المحافظة عليه لدى مجمل الشعوب من جهة، ومن جهة أخرى كيف يمكن أن يحترم الفرد أو المجتمع قواعد وقوانين لا يعي المعنى الذي تحمله أو تحيل عليه؟ فلا يمكن أن نقدم للفرد أو المجتمع قوالب قانونية أو وينود تكون مغلقة نطلب منه احترامها، أي الالتزام بها بل علينا تبسيط هذه البنود للعموم حتى تصبح مستساغة الفهم وذات معنى وهو ما يشير إليه (Zakane, Vincent, 2008) عندما يقول: "إذا أردنا أن يلتزم الفرد بقوانين المحيط علينا أن لا نكتفي بتقديمها في شكل قوالب صلبة، وإنما علينا أن نستدرج أو نتجه تدريجياً بالفرد نحو سلوك يحترم المحيط ويحافظ عليه. لأنه من الصعب أن يلتزم أحد بقانون وهو يجهل معناه" (p. 13 – 34).

وبالتالي تتأكد ضرورة التوعية بالقوانين أو المبادئ المتعلقة بـ "الوسط". ذلك ما حتم على المنظمات العالمية أن لا تكتفي بصياغة مبادئ وقوانين وعقد مؤتمرات فحسب بل أن تبحث عن طرق أو مخارج أشد فاعلية وتأثيراً من هذه المبادئ والتوصيات والقوانين... وذلك قصد إنجاح ف المحافظة على "الوسط" وحمايته، بالتالي حماية الإنسانية بصفة عامة ذلك ما بشر بولادة ما يسمى بالتربية البيئية أو التربية المتعلقة بـ "الوسط" «L'éducation relative à l'environnement».

### 3. 2. التوعية التربوية

تمثل التربية المتعلقة بـ"الوسط" التي اقترحتها المؤتمرات العالمية (وعلى رأسها مؤتمر "تبليسي" سنة 1972 ومؤتمر "بلغراد" سنة 1975 ومؤتمر "ريودي جينيرو" سنة 1992...) مسلكاً أو منهجاً يهدف إلى زرع قدر من الوعي لدى الأفراد والمجتمعات بأهمية "الوسط" في الحياة الإنسانية، وبالتالي ضرورة المحافظة عليه. وهي طريقة تهيئة الإنسان مع "الوسط الطبيعي" بما يمثله من مكونات متعددة. وتوجيه سلوك الفرد حول أهمية "الوسط" وضرورة صيانه، وتمكين الأفراد من الإطلاع على المشكلات المحيطة من حيث الأسباب وطرق الحماية حتى يصبح الأفراد ملمين بالعلاقات بين مكونات "الوسط" أو "البيئة" وتأثير كل مكون من هذه المكونات على مكون آخر بل وتأثير الإنسان على هذه المكونات وتأثره بها. وتسعى إلى تزويد الأفراد بالمعلومات والمعارف التي تتعلق بـ"الوسط".

تهدف التربية الموجهة "للوسط" إلى إعداد الأفراد والمجموعات للتفاعل مع "الوسط" بطريقة تضمن سلامته، وبالتالي سلامة الإنسان بصفة عامة، بمعنى وعي كل أفراد المجتمع بضرورة مشاركتهم بصورة فردية أو جماعية في صيانة "الوسط". وإكسابهم مهارات في التعامل مع "الوسط" وتقييم سلوكهم تقييماً ذاتياً وجماعياً تجاه مكونات "الوسط" أي تقييم أفعالهم تجاه "الوسط".

والهدف من "التربية البيئية" هو بلوغ الأفراد إلى مرحلة الوعي بمشكلات "الوسط" المختلفة، والتعامل مع هذه المشكلات بطريقة واعية وسوية والإطلاع على العلاقات المعقدة بين مكونات "الوسط" والتفاعل بين هذه المكونات. وتعديل أفعال الأفراد وسلوكهم بما ينسجم والمحافظة على مكونات "الوسط"، وتحفيزهم على التعامل مع مكونات "الوسط" بوصفها موارد مستقبلية وجب المحافظة عليها.

وهي تكشف للأفراد العلاقة الوثيقة بينهم وبين "الوسط" وبصفة عامة، فهي تلعب دور التوعية بـ"الوسط" الطبيعي وتوضيح التفاعل القائم بين مختلف أبعاده الطبيعية والحيوية والاقتصادية ذلك ما تؤكد منظمة (UNESCO, 1977): "وتمكين الأفراد من اكتساب جملة من المعارف والسلوك والقدرات العلمية والضرورية للمشاركة الفعالة في إيجاد الحلول لمجمل المشاكل التي تمس المحيط" (Partie B, principe 3).

والمقصد من وراء ذلك ترسيخ الوعي بضرورة المحافظة على "الوسط" وصيانه. هذه التربية التي أقرتها المؤتمرات العالمية وعلى رأسها مؤتمر "تبليسي" سنة 1972 هي تربية موجهة إلى كل أفراد المجتمع بلا استثناء وهي ليست موجهة إلى فئة عمرية دون أخرى بل إلى كل الفئات العمرية وهو ما توضحه (UNESCO, 1977): "إن التربية المتعلقة بالمحيط وجب أن تتوجه إلى كل الشرائح العمرية الأطفال والبالغين" (Partie B, principe 9).

بل والأبعد من ذلك أن لا تقتصر هذه التربية على أفراد المجتمع العاديين بل أن تتوجه إلى المسؤولين الذين يؤثرون بقراراتهم وأعمالهم على "الوسط". وكذلك الفئات المهنية التي لها تأثير مباشر على "الوسط" الطبيعي كالتقنيين والمعماريين... وبناء على ذلك فهي تخلق لدى هذه الفئات وعياً بالعلاقات المعقدة بين مكونات "الوسط" من جهة وبين الأفراد و"الوسط" من جهة أخرى... تتسع "التربية البيئية" أو "لشمل كل أفراد المجتمع وجميع الأعمار ومختلف فئات المجتمع فهي موجهة إلى الأطفال كما هي للكهول والشيوخ... أي أنها لا تستثني أحداً.

لا يقتصر دور التربية الموجهة "للوّسط" على الأفراد داخل المجتمع الواحد فحسب أو الدولة الواحدة بل هي موجهة إلى مجمل الدول والأقاليم لخلق مناخ من المسؤولية والتكافل بين هذه الأقطار للحفاظ على "الوسط" فهي تشمل الدول المتقدمة والدول النامية ذلك ما تؤكد منظمة (UNESCO, 1977): "إن التربية المتعلقة بالمحيط تهدف إلى صناعة عقل مسؤول ومتكافل بين الدول والأقاليم، عقل يجسم نظام عالمي يضمن صيانة المحيط والمحافظة عليه". (Partie B, principe 4)

ذلك ما يعكس أن المحافظة على "الوسط" وصيانتها يستوجب تكافلاً إنسانياً أي يضم جميع الأفراد وجميع المجتمعات وجميع الدول. مما يؤكد حجم المهمة التي يجب أن يقوم بها الإنسان تجاه "الوسط" وإلا فإننا مهددون جميعاً بكارثة منتظرة لا نعرف متى تقضي على حياة البشرية، وتجعل الإنسان أمام كارثة لا يستطيع أن يتفادى وقعها أو يتداركها.

لقد لجأت الجمعيات العالمية والمنظمات كمنظمة الأمم المتحدة إلى مسلك التربية الموجهة "للوّسط" إيماناً بأن المؤسسات التربوية أو التعليمية هي الفضاء الذي يعد أساسياً في توعية الأفراد وبناء سلوكهم فيما يتعلق "بالوسط" وصيانتها. ويكون ذلك ممكناً أي بناء الوعي وتوجيه سلوك الأفراد والمجتمعات بإدخال المواضيع أو المسائل المتعلقة "بالوسط" الطبيعي بأنشطة لصيقة بموضوع "الوسط" في مجال التربية أي تضمين مواضيع متعلقة "بالوسط" كالتلوث في البرامج التربوية لمختلف المراحل الدراسية.

وفي حقيقة الأمر فإن التربية البيئية هي عملية إعداد الفرد أو الجماعة حتى يصبحوا مواطنون فاعلين، فاعلين في علاقة "بالوسط" أي الوعي بالعلاقة التي تربطهم بمحيطهم والدور الذي يتوجب عليهم القيام به حيال "الوسط" والأسباب الكامنة وراء تدهور "الوسط" والأخطار التي تنترصده.

يمكننا الحديث عن مواطنة إيكولوجية كما يسميها (De Raulin, Arnaud, 2000) عندما يقول: "فقد أصبحنا نتحدث في مجتمعنا عن المواطنة الإيكولوجية بعد الحديث عن المواطنة السياسية" (p. p. 17 – 24). ونقصد أن التربية البيئية تهدف إلى ترسيخ ما يسمى بالمواطنة وتتبنى هذه المواطنة في معنى من معانيها على تحديد واجبات الفرد والمجموعة وحقوقهم تجاه محيطهم. ويمكننا القول إن واجبات الفرد والمجموعة تجاه "الوسط" تدخل تحت سقف ما يسمى الشأن العام أي المشاركة في الشأن العام. وتدخل المشاركة في الحفاظ على "الوسط" في إطار ما يسمى الشأن مسؤولية الفرد تجاه "وسطه" تدخل في إطار مسؤولية الفرد تجاه المجموعة ومسؤولية المجموعة تجاه "الوسط" تعكس مسؤولية المجموعة تجاه الفرد. وقد أرجع "أرنولد دير ولين" ولادة ما يسمى بالمواطنة المحيطية على سلف المواطنة الديمقراطية أي السياسية إلى جملة من الأسباب أهمها الأزمة المحيطية أو أزمة "الوسط" التي تركزت أساساً على تدهور المناخ والانفجار الديموغرافي... مما يؤدي إلى نضوب الموارد الطبيعية باعتبارها غير متجددة وهو ما يؤكد (De Raulin, Arnaud, 2000) عندما يقول: "ترتبط ولادة ما يسمى بالمواطنة الإيكولوجية بجملة أسباب منها أزمة المحيط وانحداره نحو كارثة خطيرة غير مسبقة بدءاً بالمناخ، فضلاً على أن العالم عرف انفجاراً ديموغرافياً لا مثيل له في تاريخ البشرية والذي يعود إلى تطور العلم ذلك ما أدى إلى إحداث خلل بيئي يسبب المجاعة والأمراض..." (p. p. 17 – 24). يلخص بهذه العبارات أسباب ولادة

المواطنة الإيكولوجية والتي هي مجمل الأسباب التي ولدت أيضا الاهتمام "بالوسط" بصفة عامة أو "البيئة" والتي لأجلها انعقدت المؤتمرات العالمية قصد إيجاد الحلول الكفيلة بتجاوز ما يهدد "الوسط".

مثلما سنت المنظمات العالمية قوانين لحماية "الوسط" والاعتماد على التربية كوسيلة نموذجية للحفاظ على مكوناته، وتوعية الفرد بأهمية هذه المكونات، فإنها اتجهت إلى رسم سياسات اقتصادية لضبط كيفية التعامل مع "الوسط" وبلوغ اقتصاد يتم التركيز في برامج على مشكلات "الوسط" المختلفة والتعامل مع هذه المشكلات بطريقة تستجيب لحماية "الوسط"، ومراعاة مكوناته، وتعديل السياسات الاقتصادية للدول بما ينسجم والمحافظة على مكونات "الوسط" وتحفيزها على التعامل مع مكونات "الوسط" بوصفها موارد مستقبلية وجب المحافظة عليها.

#### 4. خاتمة:

ليس من المبالغة أن نقول أن التقنية أنتجت وجها جديدا للعالم، وجه جديد مكسو بالتصنيع وفائض الإنتاج والريح بسبب توسع الأدوات والتقنيات وتنامي سلطة الإنسان ورغباته... أدى ذلك دون شك إلى السيطرة على الطبيعة إلى حد ما والتمتع بمواردها وتحقيق الرفاه.

لم يخطر على بال الإنسان أن التقنية التي اعتمد عليها في تحقيق السيطرة على الطبيعة قد تعود على "الوسط" بالدمار. وعوضا أن تسهل له سبل العيش وتجاوز المخاطر التي تهدده فإنها ولدت لديه خوفا من انهيار "الوسط" الطبيعي. خوف تراكم وتحول معه العقل البشري أداة للسيطرة على الطبيعة عن طريق ما أنتجه من وسائل تقنية. عقل سماه "هابرماس" العقل الأداتي الذي أنتج الوسائل التقنية للسيطرة على الطبيعة وبالتالي أصبح أداة للسيطرة على الطبيعة وعلى الإنسان في حد ذاته.

- المراجع:

Bielinski, Jean, 1967, Georges Friedmann, *Sept Etudes sur l'homme et la technique, in L'Homme et la société*, Gouthier, Paris, France,.

Caroline Dommen et Philippe Cullet, 1998, Droit International de l'environnement texte de base et références, Kluwer, London- The Hague.

De Raulin, Arnaud, 2000, L'environnement guide des pratiques pédagogiques en Europe, in Education à citoyenneté écologique et droits fondamentaux, Educagri, Dijon.

Friedmann, Georges, 1966, *Sept études sur l'homme et la technique*, Denoël, Gauthier, Paris, France.

Georges Friedmann, 1967, *Sept Etudes sur l'homme et la technique, in L'Homme et la société*, Gouthier, Paris, France.

Nathalie Blanc and Barbara L. Benish, , 2017, *From Art and the Environment Engaging in sustainability*, Abingdon, New York, U. S. A.

UNESCO, 1978, Conférence intergouvernementale sur l'éducation relative à l'environnement, organisée par l'Unesco avec la coopération de PNUE, Tbilissi (URSS) 14- 16 octobre 1977, ED/MD/ 49, Paris, France.

Zakane, Vincent, 2008, in «Aspects contemporains du droit de l'environnement en Afrique de l'ouest et centrale», Druchrei Gerhard ds GmbH, Bonn Allemagne.